

مقبرة البقریات لموقع منخور بالصحراء الوسطی

أ. شاید - سعودي یاسمینة*
أ. فرحات نجیب**

خطة العمل:

- 1 - التعریف بموقع منخور الأثري
- 2 - وصف المقبرة الحيوانية
- 3 - النتائج الأولى للدراسة المورفومترية
- 4 - التأويلات المتداولة

(*) - أستاذة مساعدة مكلفة بالدروس، معهد الآثار وباحثة مركز الدراسات ما قبل

التاريخية والأنثروبولوجية. C.N.R.P.AH.

(**) - باحث في مركز الدراسات ما قبل التاريخية والأنثروبولوجية والتاريخية

C.N.R.P.AH.

الكلمات المتداولة:

العصر الحجري الحديث - الصحراء الوسطی - التادرارت -
الحفر - الرعاة - النقوش الجدارية - طرق الدفن - السلالات البقرية
- الهياكل.

1 - التعریف بموقع منخور الأثري:

يقع واد منخور على أحد المنافذ الجنوبية لهضبة الطاسيلي ناچر المطلة على منطقة التادرارت - وتحتل هذه الأخيرة مسافة 300 كلم، تحدها هضبة الطاسيلي ناچر الجزائرية شمالا وهضبة الجادو النيجيرية جنوبا، كما أنها تبعد عن مدينة جانت بحوالي 200 كلم. لقد اكتشف الموقع الأثري لمنخور صدفة، عند عودة مجموعة من باحثي مركز البحوث ما قبل التاريخية، الانتروبولوجية والتاريخية.

من مهمة مسح جيولوجي لمنطقة التادرارت المجهولة في خريف سنة 1994م، ورافقتهم في هذه المهمة وهذا الاكتشاف مجموعة أخرى من باحثي الحظيرة الوطنية للطاسيلي.

يصب واد منخور ومعه أودية ان جرّان وأريكين في منخفضي التادرارت التي تحده شرقا هضبة المشاك الليبية، وتخرج هذه الأودية كلها متجهة نحو صحراء التينيري النيجيرية.

لقد تكون حوض منخور خلال الأزمنة الجيولوجية السابقة للزمن الرابع نتيجة الانكسارات التي حلت بالمنطقة وأدت إلى انزلاق البنية

وميولها في اتجاه شمالي غربي، تلقى الحوض، بعد ذلك، كميات معتبرة في المياه الجوفية ولعب دورا هاما بفضل رطوبته خاصة وأنه كان في إطار صحراوي جاف. رصد هذا الحوض وجلب إليه مختلف الرواسب كالرمل والطين التي تجسدت في شكل طبقات رسوبية واصطفت على ضفافه.

2 - وصف المقبرة الحيوانية:

تتربع مقبرة منخور على مساحة 80 هكتارا وهي ذات انحدار طفيف يتجه جنوبا. تغطي هذه المساحة قشرة رملية تقع فوقها أكواما حجرية متفاوتة الأحجام. يحتوي البعض منها على بقايا عظمية للبقرات وتتبعثر الأدوات الحجرية على كل السطح وهي مشكلة أساسا من مواد الكوارتز، الصوان واليشب. فنعث على الفخار، قطعة مبعثرة أو مجتمعة مشكلة أواني كاملة واكتشف في بعض الحالات في القبور نفسها.

ودلت عملية التنقيب على أن الحفر أو القبور التي تحوي الحيوانات شكلها دائري أو شبه دائري، يساوي قطرها 80 سم ويتراوح عمقها بين 70 و90 سم، ورتبت العظام الحيوانية فيها بعناية فائقة. ففي هذه الحفر غالبا ما يكون الرأس منغرسا في الوسط. تتشابه الأضلاع تحته وحواليه وتحد الحفرة عظام الأطراف الطويلة. ويبدو لنا هذا المشهد في تناسق وانتظام تامين خاصة وأن العظام احتفظت باتحادها الأناطومي. وحدث أن قطعت البعض من العظام الطويلة بمناشير فيبدو أثرها على شكل حاد.

وإذا تمعنا مليا في حالة الانكماش الموجودة عليها تلك البقرات وأدلة أخرى متمثلة خاصة في الطمي المجاور للعظام والذي لا يحمل بصماتها، فإن فكرة وجود وعاء أتلّف، لهذه الهياكل تفرض نفسها علينا.

وهكذا تترسخ تدريجيا فينا فكرة الاعتقاد في البقر وتأدية الطقوس لها في هذه المقبرة بالذات ولقد أرخت هذه بتاريخ 4850 - 120 سنة قبل الحاضر (p a 1457).

3 - النتائج الأولى للدراسة المورفومترية:

لقد دلت الدراسات المورفومترية الجزئية، على وجود 14 تورا موزعا على حفر بطريقة الدفن الفردي (حفرة رقم د.س.ر) أو الجماعي (حفرة رقم أ - ب) ويلاحظ أن الهيكل بما فيه الفكوك والأطراف الأمامية والخلفية دفن بأكمله كما هو الحال في الحفر التالية: ب - ت - د - ر. وفي الحالات الأكثر تضررا مثل العظام المحروقة، فإننا ورغم الحرق، نحصل على بقايا صغيرة، تؤكد وجود جميع أقسام الجسم. (ما عدا الأفراد ب2 وب3). وهذا يدل على عدم استهلاك الانسان للحيوان، لأن في هذه الحالة المعروفة في مواقع ما قبل التاريخ، لا نعثر على كل أجزاء الهيكل مجتمعة في مكان واحد، وإنما على قطع منه فقط.

وتدل الدراسة أيضا أن الأطراف المدفونة تتميز باختلاف مقاساتها وأحيانا شكل عظامها، مما يؤكد لنا وجود سلالتين على الأقل.

نلحق السلالة الأولى بالجاموس الأفريقي، عظامها قوية، كثيرة ثقب التعرق، عظام المشط عندها ممدّة النتوءات المفصليّة، وهذا يؤكّد البيئّة المستنقعيّة التي يتكيف الجاموس فيها.

وتنسب السلالة الثانية إلى الثور البدائيّ المستأنس وهو ثور كبير القامة، تدخل مقاساته في الحيز المخصص لسلالة الثور البري البدائيّ، نميز فيه نوعاً آخر تقترب مقاساته من مقاسات الثور الأبييري، لكننا لم نفصل بعد في هذا الأمر وذلك لتفاوت المقاسات بين الذكر والأنثى داخل السلالة البيولوجية الواحدة.

ويؤكد لنا هذا التنوع السلاليّ ذاك الاختلاف الواضح في أشكال البقرات المطلية التي نشاهدها على جدران المخابئ بالصحراء الوسطى. وحاولنا من جهة أخرى التعرف على أعمار هذه البقرات حين دفنت، معتمدين في ذلك على درجة تآكل الأضراس ودرجة كدرسة مفاصل العظام.

وتبين لنا من مجموع 11 هيكلًا أن سبعة (7) تتراوح أعمارها بين 5 و 5 سنوات وثلاثة (3) بين 5 و 7 سنوات وواحد (1) فقط أضراسه متآكلة كثيراً قد يتراوح عمره بين 9 و 12 سنة. وتستوقفنا هذه الأعمار لأنها تدل على أن معظم الثيران دفنت وهي في مرحلة شبابها الأولى، وبحسنا إثر ذلك عن كيفية وفاتها بملاحظة الفقرات العنقية الأولى والثانية لهذه الثيران حين توفرت المادة، ولكننا لم نجد أثراً للذبح بوسائل قاطعة.

4 - التأویلات الثقافية الممكنة:

وإذا رجعنا إلى طرق الدفن المعروضة في الفصل الأول وإلى نتائج الدراسة المورفوميترية، نجد بأن فكرة الدفن المتعمد تفرض نفسها علينا خاصة وأن لهذا الدفن علاقة بالاعتقادات القديمة لرعاة البقر.

لقد شرح لنا «أمادو امباني باه» في السنوات الماضية حين زار الطاسيلي ناجر أن الرسوم الخاصة بالأبقار تكشف عن عبادة الثور، إله المعرفة، وكان هذا يظهر في المياه بصفة دورية (مشهد لوطوري) ويقدم كأضحية من طرف الرعاة المراهقين قصد بلوغهم سن الرشد (مشهد تيسوكاي).

لقد اكتشفت في السنوات القليلة الماضية مقبرة لآلاف البقریات والأغنام بالسودان وتنتمي هذه لحضارة كرمة التي تؤرخ مراحلها الثلاثة من 2800 إلى 1500 سنة قبل الميلاد. ونستطيع من الآن اعتبار الصحراء الوسطی كمركز إشعاع حضاري قديم لاستئناس البقر والاعتقاد فيه. وكان لهذا المركز امتدادات نحو الشرق نظرا لأسبقيته التاريخية وتشابه المظاهر الحضارية في الصحراء الوسطی، السودان ومصر.

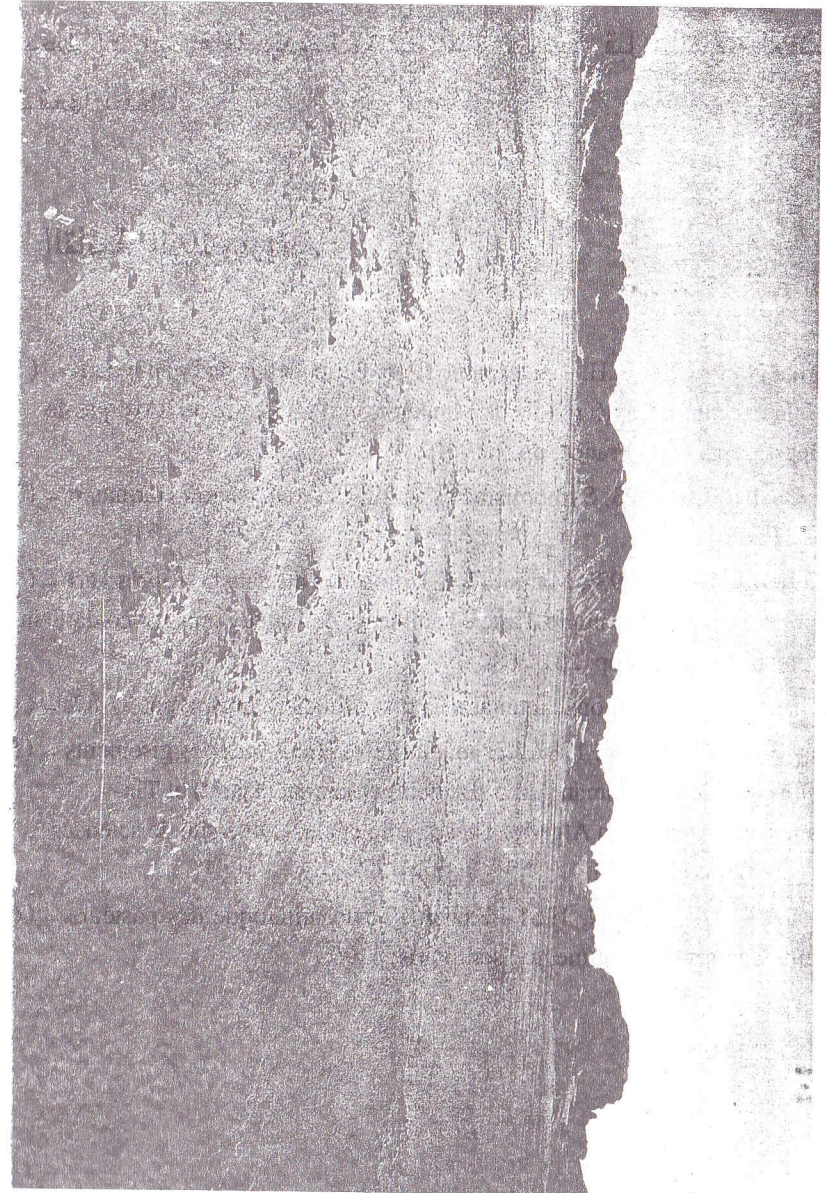
وأما في الجزائر فإن تأليه الثيران بقي مستمرا إلى الفترة الرومانية حيث يذكر لنا الشاعر «كورييوس» في القرن السادس بعد الميلاد، أن قوم لقطان كان يعبد الثور المسمى بالاله قورزيل يحفظ اليوم المتحف الوطني للآثار تمثالا له.

يكشف لنا موقع منخور ببقاياها العظمية عن عالم حيواني كنا نفتقر لمادته، وعن بيئة ومناخ مختلفين وعن ثقافة معقدة. ورغم أننا في بداية البحث إلا أن آفاقا جديدة فتحت أمام علم ما قبل التاريخ لم نكن نتوقعها إطلاقا.

القائمة البيبليوغرافية:

- (1) Ferhat N. Striedter K.H. Tauveron n, 1996, Un cimetier de boeufs dans le sahara central; La nécropole de Mankhor, in: Préhistoire de l'Afrique de l'Ouest, sepia édit., France, pp. 107-102.
- (2) Le Quellec J.L. 1993, Symbolisme et art rupestre au sahara, Harmatan édit., Paris, p. 683.
- (3) Gautier A. 1990 (1993), Mammifères Holocènes du Sahara d'après l'art rupestre et l'archéozoologie, l'arte e l'ambiente del-sahara préistorico datie interpretazioni Milan, pp. 261-268.
- (4) Chaix L. 1988, Le monde animal a Kerma (Soudan) Sahara, pp. 77-87.
- (5) pré- Chaid - Saoudi Y. 1987, Les mammifères Holocènes des gisements historiques de Gueldaman Akbo (Bedjaia) columnta (Tiaret) et Tin-Hanakaten (Djanet) en Algerie. Thèse 3ème cycle. Université de sciences Claude Bernard Lyon I.
- (6) B. a A.H. Dierterlin G. 1961 - Kumen, Texte initiatique des pasteurs peuls, Cahiers de l'homme, nv. ser., Paris, p. 95.

صورة رقم 1 : خارج النص : مقبرة منخور



صورة رقم 2 : خارج النص: قبر البقر

